فى جملة من سباه من الرخج ، وكان قد سبى شيئاً كثيراً ، وغنم غنائم جليلة ، فنزل فى معسكره وحطت الاثقال . ونزعت السروج عن الدواب . فبيناهم كذلك ابصروا غبارا ساطعا . فظنوا انه الطالب . فأمر معن بقتل الأسرى . فقتلوا نحوا من اربعة آلاف . قال فأخذنى ابى . فجعلنى تحت الأكف . وقام فى وجهى . وقال لعلك إن قتلتُ أنا أن تسلم انت . فنظروا . فإذا هى حمير وحش ، والغبار لها وقد قتل بسببها أربعة آلاف .

ونظر أعرابىّ إلى نُبل قصر فرج الرخجى ، فقال :

لعمرك ما طول البناء بنافع　　إذا كان فرع الوالدَين قصيرا

وكان الرشيد قلد فرج الرخجى الأهواز ، فكثر عليه عنده ، واتصلت السعايات به ، وتظلمت رعيته منه ، وادعى عليه أنه قد اقتطع مالا كثيراً من مال البلد ، فصرفه بمخلد بن أبان الأنبارى ، فى سنة اثنتين وتسعين ومائة .

وحدث للرشيد سفر فشخص ، وأمر فرجا بالخروج معه ، فلما صار ببعض المنازل دعا به ، فقال مطهر بن سعيد كاتب فرج : فلما أمر بإحضاره حضر وأنا معه ، ولسنا نشك فى إيقاعه به ، وإزالته نعمته ، فوقفت بباب مضرب الرشيد ، فدخل فرج إليه ، فبينا أنا أتوقع خروجه على حال يكرهها ، خرج وعليه الخلع ، فتضاعفت النعمة عندى ، وأكثرت الشكر لله جل وعز على السلامة وسرت معه حتى وصلت إلى منزله ، فلما خلا سألته عن خبره ، فقال : دخلت إليه ووجهه إلى المضرب ، وظهره إلىّ ، فلما أحس بى شتمنى أقبحَ شتيمة ، وتوعدنى أشد توعد . وقال لى : يا بن الفاعلة ، رفعتك فوق قدرك ، وائتمنتك فخنتنى ، وسرقت مالى . وفعلت وفعلت ، والله لأفعلن بك ولأفعلن . فلما سكت قلت له : القول كما قال سيدى ، وأكثر منه فى إنعامه علىّ ، وحلفت بأيمان البيعة أنى قد نصحت وشكرت الصنيعة ووفرت ، وما سرقت ولا خنت ووالله لأصدقنك عن أمرى ، عمرت البلاد ، واستقصيت حقوقك من غير

ظالم ، ووفرت أموالك ، وفعلت ما يفعله الناصح لسيده ، وكنت إذا كان وقت بيع الغلات جمعت التجار ، فإذا تقررت العطايا أنفذت البيع ، وجعلت لى مع التجار فيه حصة ، فربما ربحت ، وربما وضعت ، إلى أن اجتمع لى من ذلك ومن غيره فى عدة سنين عشرة آلاف ألف درهم ، فاتخذت أزجاً كبيراً ، عقد بالجص والآجر ، كأنه مجلس ، وجعلت بين يديه موضعاً أقعد فيه وعبيت البدور شيئاً بعد شىء فى الأزج ، ثم سددته ، وهو بحاله ، ما أشك أن العنكبوت قد نسجت على مافيه ، فخذها وحوّل وجهك إلى عبدك ، وكررت القول والحلف على صدقى ، فقال لى : بارك الله لك فى مالك ! فارجع إلى عملك ودار رعينك .

حدثنا علىّ بن أبى عون قال : حدثنى الفضل بن مروان . أن الرشيد صرف عبد الله بن عمر عن ديوان الخراج بسليمان بن راشد . وأمره بالاستقصاء عليه فجاس سليمان بن راشد فى مجلسه ، ودعا بعبد الله بن عمر ، فجلس بين يديه ، فقبل أن يناظره بشىء دخل الفضل بن يونس على سليمان ، فسلم عليه ، فأوسع له سليمان إلى جانبه ، فالتفت الفضل بن يونس إلى سليمان بن راشد : فقال له : يا أبا أيوب ، أوسع مجلسك ، وأومأ إلى موضع عبد الله بن عمر ، فقال له سليمان ما أردت بهذا ؟ فقال له : إن المجلس الذى جلس هذا فيه اليوم ، ستجلس أنت فيه غدا ، فمن ثم قلت : أوسع مجلسك ، فحلف سليمان أنه لا يحاسب عبد الله ابن عمر ، ولا ينظر له فى أمر .

ولما صار الرشيد بطوس ، واشتدت علته ، اتصل خبره بمحمد الأمين فوجه ببكر بن المعتمر ، وجعل له فى كل يوم ألف دينار ، ودفع إليه كتباً إلى الفضل بن الربيع . وإسماعيل بن صبيح وغيرهما ، يأمرهم بالقفول إلى مدينة السلام إن حدثت بالرشيد حادثة ، وكان الرشيد قد جدد الشهادة للمأمون بجميع ما فى عسكره ، من مال وأثاث وخرثى ورقيق وكراع ، وأمر بإقرار الجميع معه

وتسليمه إليه ، إن حدثت به حادثة . فلما ورد بكر بن المعتمر عسكر الرشيد ،
وكانت معه كتب ظاهرة بعيادته ، وكتب باطنة إلى القوم بالتقول ، والاحتياط
على ما فى العسكر ، واتصل خبر الكتب الباطنة بالرشيد ، وأمر باحضاره
ومطالبته بالكتب ، فجحدها .

قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، فحدثنى محمد بن منصور بن زياد قال :
حدثنى أبى ، قال : كنت مع الرشيد بطوس فى علته التى مات فيها ، وقد ورد
بكر بن المعتمر بالكتب ، والمأمون حينئذ بمرو ، وقد ظفر بأخى رافع بن
الليث ، وأحضر فى ذلك اليوم ومعه قرابة له مخبأ ، فخلع الرشيد على بكر ،
وصرفه إلى منزله ، ثم أمر باحضاره ومطالبته بالكتب ، فجحدها ، ودافع
عنها ، فأمر بحبسه . قال ثم جلس الرشيد جلوسا عاما فى مضرب خز أسود ،
استدارته أربعمائة ذراع ، وفى أركانه أربع قباب مغشاة بخز أسود ، وهو جالس
فى فازة[1] خز سوداء . فى وسط المضرب . والعمد كلها سود ، وعليه جبةسوداء
خزٌ بغير قميص . وعليها فنك قد استشعره ، لشدة ما هو فيه من البرد والعلة ،
وفوقها دراعة خز سوداء مبطنة بفنك . وعلى رأسه قلنسوة طويلة ، وعمامة خز
سوداء ، وطيلسان أسود ، وسيف بحمائل ، وتحته أحد عشر فراشا خزاً أسود ،
والوسائد والمخاد وسائر مايقرب منه خز أسود ، وهو لما به ، وخلف المسند
خادم يمسكه بيده ، لئلا يميل . والفضل بن الربيع جالس بين يديه ، فقال الفضل
مر بكرا بإحضار ما معه من الكتب السرية ، فأنكرها وقال ما معى إلا
الكتب التى أوصلتها ، فقال الرشيد للفضل : توعده ، وأعلمه أنه إن لم يفعل
بلغت منه غاية المكروه ، فأقام بكر على الإنكار والجحود ، فسمعته يقول
للخادم بصوت خفى : قل للفضل : قنبوه ، فنحى بكر ، وجىء بالقنب ،
فقنب من قرنه إلى قدمه . قال بكر فأيقنت بالموت . ويئست من نفسى ،

---

١) الفازة مظلة بعمودين

وعملت على الاقرار ، فإنى على ذلك حتى أمر بإحضار مروان أخى رافع ، وقرابته والذى كان معه . فأحضر ، فقال له الرشيد : أيتوهم رافع أنه يغالبنى ، والله الذى لا إله إلا هو ، لو كان معه عدد نجوم السماء ، لتلقطتهم واحدا واحدا حتى أقتلهم وعن آخرهم ، فقال مروان : اللهَ اللهَ فىّ يا أمير المؤمنين ، فإن الله يعلم وأهل خراسان جميعاً أنى ما زلت بريئاً من أخى . ومما هو عليه منذ عشرين سنة : وإنى لأشير عليه بلزوم الطاعة ، وترك ماهو بسبيله ، فلا يقبل وإننى لملازم لمسجدى وصلاتى ومنزلى ، فاتق الله فىّ ، وفى هذا الرجل ، فقال له قرابتـه قطع الله لسانك ! إنا والله منـذ كذا وكذا ندعو بالشهادة ، فلما رزقناها على يدى شرّ خلقه ، أخذت فى الاعتذار ! فاغتاظ الرشيد من ذلك وقال : علىَّ بجزّارين . فقال له قرابة مروان : افعل ما شئت ، فإنا نرجوا أن يرزق الله الشهادة ، ونقف نحن وأنت بين يدى الله عزّ وجلّ فى أقرب مدة فتعلم كيف يكون حالك ، فنحيا ، وأمر القوم بتفصيلهم عضوا عضوا ، فوالله ما فرغ منهما حتى توفى الرشيد .

قال بكر : فأنا أتوقع خروج نفسى ، حتى أتانى غلام لأبى العتاهية قد بعث به إلىّ مولاه ، وكتب فى راحته شيئاً ، فقرأته ، فإذا هو :

هى الأَيام والغيرُ وأمرُ الله ينتظرُ
أتيأسُ أن ترى فرجا فأين اللهُ والقدرُ

فوثقت بالله عزّ وجلّ ، ولم أفهم معناه ، ثم سمعت ناعية ، وإذا بالفضل ابن الربيع قد أقبل يريدنى ، فلما قرب منى قال حلوا عن أبى خليدة ، فقلت ، ليس هـذا وقتاً تمكننى فيه ، فدعا بخلع ، فخلعت علىّ ، ثم قال لى . أعظم الله أجرك فى أمير المؤمنين ، وأخـذ بيدى ، فأدخلنى بيتا وهو مسجى فيه ، وكشف عن وجهه ، فلما رأيته ميتا ، قال لى هات الكتب التى معك ، فأحضرت صندوقا للمطبخ ، قد نقبت قوائمه ، وجعلت الكتب فيها ، وجعل الجلد فوقها

فتق الجلد ، وكسرت القوائم ، وسلم بكر الكتب إلى أصحابها ، وأخذ الأجوبة وانصرف[1] .

وكان فيما كتب به محمد إلى المأمون ، فى كتاب طويل ، فصل قال فيه :

واضمم إلى الميمون بن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين رحمه الله وحرمه وأهله . وامره بالمسير معهم ، فيمن معه من رابطته وجنده

وفى فصل آخر منه : وإياك أن تنفذ رأيا ، أو تبرم أمرا ، إلا برأى شيخك وثقة آبائك ، الفضل بن الربيع . وأقرّ الخدم على مافى أيديهم من الأموال والخزائن والسلاح . ولا تخرجن أحدا منهم عن ضمن ما يلى . إلى أن تقدم علىّ به . وإن أمرت لأهل عسكرك بعطاء أو رزق . فليكن الفضل بن الربيع المتولى لإعطائهم . على دفاتر يتخذها لنفسه . بمحضر من أصحاب الدواوين فإن [الفضل بن] الربيع لم يزل يتقلد مثل ذلك عند مهمات الأمور . وأنفذ إلىّ عند وصول كتابى هذا إسماعيل بن صبيح وبكر بن المعتمر . على مركبهما من دوابّ البريد .

وتوفى الرشيد فى جمادى الآخرة من سنة اثنتين وتسعين ومائة ، وعلى نفقاته وتدبير أموره الفضل بن الربيع ، وعلى ديوان الرسائل وديوان السرّ وديوان

---

١) فى هامش الاصل بخط مغاير ما يأتى:

«وسمعت فى غير هذا الكتاب . أن الرشيد رأى فى النوم كأن قائلا يقول له إنك تموت بطوس . وفى كفه تراب . فقال له وهذا من تربتك بها . فلما أتى طوس فى الدفعة التى توفى فيها وجد رقعة فيها مكتوب :

ما أنتَ معتبرٌ بمن خربتْ ‏ ‏ منه غداةَ قضى دساكره

وبمنْ أذلَّ الدهرُ مصرعهُ ‏ ‏ فتبرأت منهُ عشائرُهُ

أينَ الملوكُ وأينَ جندهمُ ‏ ‏ صارُوا مصيرا أنت صائرُهُ

نلْ مابدا لك أن تنال من الدنيا فإنَّ الموت آخره»

الضياع وديوان الصوافى إسماعيل بن صبيح ، وعلى ديوان الجند ابن الشخير المذلى وعبد الله بن عبدة الطائى ، وعلى ديوان الخراج بالسواد ، سليمان بن عمران ، وعلى ديوان خراج الشام ومصر وإفريقية والموصل وأرمينية وأذربيجان والمدينة ومكة واليمن ، علىّ بن صالح ، وعلى ديوان خراج الجزيرة محمد بن إسماعيل بن صبيح .

وجدّ الفضل بن الربيع فى المسير بالعسكر بجميع ما فيه ، ولم يعرّج على المأمون ، ولا التفت إليه . فلما اتصل الخبر بالمأمون همّ بأن يلحقهم فى ألفى فارس خيل جريدة ، فقال له الفضل بن سهل : إن فعلت هذا لم آمن أن يقبضوا عليك ، ويجعلوك هدية إلى محمد ، ولكن تقيم وتكتب إليهم كتاباً ، وتوجه إليهم رسولا ، يذكرهم البيعة ، وتسألهم الوفاء ، وتحذرهم الغدر والحنث فقبل ذلك المأمونُ ، ووجه بسهل بن صاعد ، وكان على قهرمته ، وكان عاقلا حازما ، وبنوفل الخادم مولى الهادىّ ، وكتب معهما ، فلحقا الفضل بن الربيع والعسكر بنيسابور : فلم يقبلوا منهما ، ولا التفتوا إليهما ، فانصرفا بالخبر إلى المأمون ، فقال له الفضل بن سهل : هؤلاء أعداء قد استرحت منهم ، وبعدوا عنك ، ولكن افهم عنى شيئا أقوله إن هذه الدولة لم تكن قط أعز منها فى أيام أبى جعفر ، فخرج عليه المقنع يطالب بدم أبى مسلم ، فتضعضع العسكر لخروجه ، ثم خرج بعده يوسف البَرْم[1] وهو كافر . فقامت عليه القيامة . ثم خرج بعده أشناسبس[2] يدعو إلى الكفر . فشخص إليه المهدىّ من الرىّ إلى نيسابور . ثم هذا بالأمس كيف رأيت الناس لما ورد عليهم خلع رافع بن الليث ؟ فقال : رأيتهم اضطربوا اضطرابا شديداً . قال : فكيف بك وأنت نازل فى أخوالك وبيعتك فى أعناقهم ، كيف يكون اضطراب أهل بغداذ ؟ اصبر قليلا وأنا أضمن لك الخلافة . فقال له المأمون : قد فعلتُ . ووالله لأشكرنك .

١) فى الطبرى البرم بالراء المهملة ٢) فى الطبرى أستاذسيس

ولما أجمع المأمون على المقام بخراسان ، قال له الفضل بن سهل : إن هؤلاء الرؤساء كعبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وغيرهما أنفع لك منى ، لما قد شهر وتقدم من رياستهم ، وما عندهم من القوة على الحرب ، فدعنى أكن خادما لك ، حتى تصير إلى محبتك ، وتجعل إليهم ظاهر الأمر ، فقال له افعل ما رأيت ، فاتيهم الفضل بن سهل فى منازلهم ، وذكرهم البيعة ، وما يجب عليهم من الوفاء بها .
قال : فكنت كأنى آتيهم بجيفة على طبق لا يحل أكلها . فيدفعنى بعضهم ، ويقول بعضهم : ومن يدخل بين أمير المؤمنين وأخيه ؟ فعرف المأمون ذلك ، فقال له قم أنت بالأمر ، فقال له الفضل : قد قرأت القرآن ، وفهمت أمر الدين ، والرأى أن تجمع الفقهاء ، وتدعوهم إلى الحق ، والعمل به ، وإحياء السنة ، وأن تقعد على اللبود ، وأن تواصل النظر فى المظالم ، وتكرم القواد والملوك ، وأبناء الملوك ففعل ذلك

وكان يقول للتميمى : نقيمك مقام موسى بن كعب ، ويقول للربعى : نقيمك مقام أبى داوُد ، ويقول لليمانى نقيمك مقام قحطبة ومالك بن الهيثم ، وحط عن خراسان ربع الخراج ، فكانوا يقولون : ابن أختنا وابن عم رسول الله .

ولما رأى رافع بن الليث سيرة المأمون انقاد له ، ودخل فى طاعته ، فى سنة أربع وتسعين ومائة ، فأعطاه الأمان ، فصار إليه ، فأكرمه ، وخص به .

ولما خص الفضل بن سهل بالمأمون ، وتبين نجابته ، ودلته النجوم على أنه يلى الخلافة ، طالبه بأن يكتب له رقعة بخطه ، فكتب له رقعة نسختها :

جعلت لله على نفسى إن استرعانى أمور المؤمنين ، وقلدنى خلافته فى خلقه ، العمل فيهم بكتابه وسنة رسوله ، محمد صلى الله عليه ، ولا أسفك دماً عمداً إلا ما أحلته حدوده ، وسفكته فروضه ، وأن لا أنال من أحد من المخلوقين مالاً ولا أثاثا ، غصبا ولا بحيلة تحرم على المسلمين ، ولا أعمل فى شىء من الأحكام

بهواى ولا بغضى ، إلا ما كان منهيا فى الله عز وجل وله ، وجعلت ذلك كله عهدا مؤكدا على أن أفى به ، رغبة فى زيادته إياى ، ورهبة من مساءلته لى عنه فانه جل وعز يقول : « واوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا » فان حلت أو غيرت كنت للعن مستحقا ، وللنكال متعرضا ، وأعوذ بالله من سخطه ، وارغب اليه فى المعونة لى على طاعته ، والحؤول بينى وبين معصيته ، فى عافية لى ولجماعة المسلمين ، وان يسهل لى مايحب ويرضى فى جميع اموري ، إنه قريب مجيب ، وعلى ما يشاء قدير وكتبت بخطى

وكان يونس بن الربيع يحجب المأمون وهو ولى العهد فدعا يونس يوماً أبا محمد اليزيدى ، فأقام عنده فصار اليه الفضل بن سهل فتحادثا وتفاوضا ، فقال له اليزيدى فى بعض قوله : إن الأمير جميل الرأى فيك ، مستخف لك ، حامد لخدمتك ، وإنى لأرجو أن يبلغك الله مبلغا تتمكن منه معه ، وتملك الف الف درهم .

فاستشرى الفضل غضبا ، ثم قال له : ما هذا الكلام ؟ اها هنا موجدة ؟ اهاهنا حقد ! أهاهنا حقد ! اها هنا ما يوجب هذا ! فقال له : ماانكرت حتى اخرجك إلى هذا ، مع مودتى لك وميلى اليك ؟ فقال له تقول لى تملك الف ألف درهم ؟ قال فما أنكرت وما الذى تريد ؟ قال والله ما صحبت هذا الامير لأكسب معه مالا قل أو أكثر ، وإن همتى لتتجاوز كل ما يجوز ان يملك ، قال فلما صاحبته اخرج خاتمه من يده ، ثم قال : ليجوز طابع هذا فى الشرق والغرب ، لهذا خدمته ولهذا صحبته ، فما طالت المدة حتى بلغ الأمل .

وكان الفضل والحسن ابنا سهل ، والمأمون ولى عهد ، عند بعض الخدم المتقلدين للأعمال فى ايام الرشيد ، وأنه دخل على الخادم فتى كان يلى له شيئا فلما رآه ضحك ثم قال له : هذه مشية تعلمتها بعدك ، فانظر : أهى أحسن أم ما كنت ماأمشى ، حتى أنتقل عنها ؟ ثم غير مشيته ، وجاء فجلس ، فاتى برعونات

كثيرة فلم يزل الخادم يحتال له حتى خرج ، ثم قال لهما : إن بعض الناس يحب أن يظهر خاصية ليست له ، فلما خرجا من عنده ، قال الحسن للفضل : تعذب نفسك ثلاثين سنة من ذى قبل ، بالصيانة والمروءة وطلب الأدب ، ومثل هذا يلى الأعمال! فقال له الفضل : لو حمل هذا وضربت استه بالدرة خرج منه عون صدق ان الناس جميعاً لو حملوا على الصلاح صلحوا ، ولكنهم يؤتون من قلة التفقد والترك بغير أدب .

وحكى أن الفضل بن سهل ولى إنساناً شيئاً ، فأساء فيه ، فأمر بحمله ، فضرب استه بالدرة ، ، ثم قال له: قد أدبتك بهذا ، فإن صلحت وإلا اطرحناك

وجدت فى كتاب عمله أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب ، فى أخبار خلفاء بنى العباس ، بخط أبى الفضل ، يقول : أنفذ إلىّ أبو القاسم جعفر بن محمد بن حفص رقعة ، انتسخها من دواوين الخراج الكاتب[1] ، ذكر فيها أن أبا الوزير عمر بن مطرف الكاتب من أهل مرو ، وأنه كان يتقلد ديوان المشرق للمهدى ، وهو ولىُّ عهد ، ثم كتب له فى خلافته ، ولموسى ولهارون ، وأنه عمل فى أيام الرشيد تقديراً عرضه على يحيى بن خالد ، لما يحمل إلى بيت المال بالحضرة من جميع النواحى ، من المال والأمتعة ، نسخته :

أثمان غلات السواد

ثمانون ألف ألف ، وسبعمائة ألف ، وثمانون ألف درهم .

أبواب المال بالسواد

أربعة عشر ألف ألف ، وثمانمائة ألف درهم .

---

١) هذه الكلمة جاءت مقحمة ههنا فلعلها مكررة ولعلها مقدمه والصواب : ذكر فيها الكاتب

الحلل النجرانية : مائتا حلة .

الطين للختم : مائتان وأربعون رطلا .

كسكر

أحد عشر ألف ألف وستمائة ألف درهم .

كور دجلة

عشرون ألف ألف وثمانمائة ألف درهم .

حلوان

أربعة آلاف ألف وثمانمائة ألف درهم .

الأهواز

خمسة وعشرون ألف ألف درهم .

السكر : ثلاثون ألف رطل .

فارس

سبعة وعشرون ألف ألف درهم .

ماء الزبيب الأسود : عشرون ألف رطل

الرمان والسفرجل : مائتا ألف وخمسون ألفا .

ماء الورد ثلاثون ألف قارورة

الأنبجات خمسة عشر ألف رطل

الطين السيرافى خمسون ألف رطل

الزبيب - بالكر الهاشمى - ثلاثة أكرار .

كرمان

أربعة آلاف ألف ومائتا ألف درهم .

المتاع اليمنى والخبيصى خمسمائة ثوب .

التمر عشرون الف رطل

الكمون مائة رطل

مكران

أربعمائة ألف درهم

السند وما يليها

أحد عشر ألف ألف ، وخمسمائة ألف درهم .

الطعام بالقفيز الكيرخ : ألف ألف قفيز .

الفيلة : ثلاثة أفيلة .

الثياب الحشبشية : ألفا ثوب .

الفوط: أربعة آلاف فوطة .

العود الهندى: مائة وخمسون منا .

ومن سائر أصناف العود مائة وخمسون منا .

النعال : ألفا زوج

وذلك سوى القرنفل والجوزبوا .

سجستان

أربعة آلاف ألف ، وستمائة ألف درهم

الثياب المعينة: ثلاثمائة ثوب .

الفانيذ : عشرون ألف رطل

خراسان

ثمانية وعشرون ألف ألف درهم .

نقرُ الفضة ، الأمناء: ألفا نقرة .

البراذين: أربعة آلاف برذون

الرقيق: ألف رأس

المتاع : سبعةوعشرون ألف ثوب

الإهليلج : ثلاثمائة رطل .

جرجان

اثنا عشر ألف ألف درهم

الإبريسم : ألف منا

قومس

ألف ألف وخمسمائة ألف درهم

نقر الفضة الأمناء : ألفا نقرة

الأكسية : سبعون كساء

الرمان: أربعون ألف رمانة

طبرستان ، والدوبان ، ودنباوند

ستة آلاف ألف ، وثلاثمائة ألف درهم .

الفرش الطابرى : ستمائة قطعة .

الأكسية : مائتا كساء .

الثياب : خمسمائة ثوب .

المناديل : ثلاثمائة منديل .

الجامات: ستمائة جام .

الرى

اثنا عشر ألف درهم .

الرمان: مائة ألف ألف رمانة

الخوخ ألف رطل

أصفهان

سوى خمتش ورساتيق عيسى واويس

أحد عشر ألف ألف درهم

العسل عشرون ألف رطل

الشمع عشرون ألف رطل

همذان ودستبي[1]

أحد عشر ألف ألف ، وثمانمائة ألف درهم .

---

١) دستبي كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرى وهمذان فسعى رجل من سكان قزوين من بنى تميم يقال له حنظلة بن خالد ويكنى أبا مالك فى امرها حتى صيرت كلها إلى قزوين، فسمعه رجل يقول كوَّرتها وانا ابو مالك ، فقال بل أتلفتها وانت ابو هالك

رب والريباس ألف منا
العسل الأروندى عشرون ألف رطل

ماهى البصرة والكوفة

عشرون ألف ألف وسبعمائة ألف درهم

شهرزور وما يليها

أربعة وعشرون ألف ألف درهم

الموصل وما يليها

أربعة وعشرون ألف ألف درهم
العسل الأبيض عشرون ألف رطل

الجزيرة والديارات والفرات

أربعة وثلاثون ألف ألف درهم .

أذربيجان

اربعة آلاف الف درهم

موقان وكرخ

ثلاثمائة ألف درهم

جيلان

من الرقيق مائة رأس

التتر والطيلسان[1]

من العسل اثنا عشر زقا

ومن البزاة عشرة بزاة

ومن الأكسية عشرون كساء

أرمينية

ثلاثة عشر ألف ألف درهم

البسط المحفورة عشرون بساطاً

الرقم خمسمائة وثمانون قطعة

المالح المنبوذ ما هى عشرة آلاف رطل

الطريخ عشرة آلاف رطل .

البزاة ثلاثون بازيا

البغال مائتا بغل

قنسرين[2] والعواصم

أربعمائة الف وتسعون الف دينار

حمص

ثلاثمائة ألف وعشرون ألف دينار .

الزبيب : ألف راحلة .

---

١) الطيلسان إقليم واسع كثير البلدان والسكان من نواحى الديلم والخزر افتتحها الوليد بن عقبة فى سنة ٣٥   ٢) فى الاصل قنسرون

دمشق

أربعمائة ألف وعشرون ألف دينار .

الاردن

ستة وتسعون الف دينار .

فلسطين

ثلاثمائة الف وعشرون الف دينار .

ومن جميع أجناد الشام من الزبيب : ثلاثمائة الف رطل .

مصر

سوى تنيس ودمياط والأشمونين — فان هذه وقفت للنفقات
ألف ألف ، وتسع مائة وعشرون ألف دينار

برقة

ألف ألف درهم

إفريقية

ثلاثة عشر ألف ألف درهم

ومن البسط : مائة وعشرون بساطا

اليمن

سوى الثياب

ثمانمائة ألف ، وسبعون ألف دينار

مكة والمدينة

ثلاثمائة ألف دينار

*
* *

فذلك العين خمسة آلاف ألف دينار ، قيمتها حساب اثنين وعشرين درهما بدينار.....[١] مائة ألف ألف درهم ، وخمسة وعشرون ألف ألف ، وخمسمائة ، واثنان وثلاثون ألف درهم

الورق : أربعمائة ألف ألف ، وأربعة آلاف ألف ، وسبعمائة ألف ، وثمانية آلاف درهم

يكون الورق مع قيمة العين ـ خمسمائه ألف ألف ، وثلاثين ألف ألف ، وثلاثمائة ألف ، واثنى عشر ألف درهم

---

١) بياض فى الاصل بمقدار كلمة

أيام محمد الأمين

ولما أفضى الأمر إلى محمد الأمين قلد يحيى بن سليم ديوان الرسائل ، وقلد العباس بن الفضل بن الربيع حجابته ، وقلد الفضل بن الربيع العرض عليه ، وقلد بكر بن المعتمر ديوان الخاتم .

وكان يكتب للفضل بن الربيع موسى بن عيسى بن يزدانيروذ ، وداود بن بسطام ، وعبد الله بن أبى نعيم .

وكان الفضل ينزل فى الشارع الأعظم ، بإزاء درب السقائين ، وكان لما عزم على بناء منزله هذا وهب له الرشيد من مال الأهواز خمسة وثلاثين ألف ألف درهم ، معونة له على بنائه .

ولما استقر أمر محمد الأمين ، وحصل ماورد به عليه الفضل بن الربيع من العسكر بما فيه ، كتب إلى المأمون يسأله التجافى له عن بعض الأعمال بخراسان وأن يطلق له إنفاذ رجل يتقلد البريد من قبله ، ليكاتبه بأخباره ، فشق ذلك على المأمون ، ودعا الفضل بن سهل فشاوره ، فقال له : إن لك من شيعتك وأهل ولايتك بطانة ، وفى مشاورتهم تأنيس لهم ؛ وفى قطع الأمر دونهم وحشة ، وظهور قلة ثقة بهم ، [فتكدر]هم ، فأحضرهم ، فأشاروا عليه جميعاً بإجابته إلى ما سأل ، فقال الحسن بن سهل : هل [تعلمو]ن أن محمداً تجاوز إلى طلب ماليس له بحق ؟ قالوا : [نعم ، و] نحتمل ذلك ، لما نخاف من ضرر منعه ، قال فهل تثقون بكفه بعد إعطائه ذلك ، وألا يتجاوز بالطلب إلى غيره ؟ قالوا : لا ، ولكنا نرجو السلامة ، قال : فإن تجاوز إلى مسألة أخرى ، أليس قد تعجلنا الوحن[1] بما أعطيناه .

ووافق الفضل بن سهل الحسن فى ذلك الرأى ، فقال فى كلام طويل : ليس

---

١) هذه الكلمة غير واضحه فى الأصل ولعل الصواب تعجلنا الأحن

النصر بالكثرة والقلة ، وجرح الموت أيسر من جرح الضيم والذل، فقال المأمون بإيثار حب الدعة صار من صار إلى فساد العاقبة فى أمر دنياه وآخرته ، وكتب يمنعه من ذلك ، ويدفعه عنه .

ثم تقدم المأمون إلى الفضل بن سهل أن يكتب إلى محمد بالبعثة إليه بحرمه وولده ، وكان له ببغداذ ابنان من أم عيسى بنت موسى الهادى ، نزولا معها فى قصر المأمون ، وبمائة ألف دينار ، كان الرشيد أوصى له بها من بيت المال ، فأجابه بأنه قد صرف المال فى أمور المسلمين ، فيما هو أولى مما أوصى به الرشيد وأن حرمه وولده يجرون عنده مجرى حرمه وولده ، وأنه لا يرى تعريضهم لما عرضهم له من مشقة السفر ، وغرر الطريق ، وأنه إذا رأى لذلك وجها أذن له فيه ، فاستحكمت وحشة المأمون ، وعلم مذهب محمد فيه ، وأخذ فى أهبة التحرز منه .

ولما استوسق الأمر لمحمد ، زين له الفضل بن الربيع خلع المأمون ، وكان يخافه إن أفضى الأمر إليه . وعاون الفضل على ذلك على بن عيسى بن ماهان فكتب إلى جميع العمال بالدعاء لموسى بن محمد بعد الخليفه ، وخلع المأمون ، وبلغ المأمون ذلك ، وما أحدثه لموسى ابنه بعده من أمر الخطبة [1] .

وندب الفضل بن سهل طاهر بن الحسين للشخوص إلى الرى ، ورآه متثاقلا فقال له ما أمنيتك ؟ قال أمنيتى أن أخطب على منبر فوشنج [2] ويكون فى صندوق مائة ألف درهم ، فولاه فوشنج ، وأمر له بمائة ألف درهم ، وتركه أياما ، ثم دعاه إلى الشخوص ، فأجابه ، فقال الفضل إذا نال الرجل المنى ، خاض الدماء .

---

١) فى هامش الأصل بخط يشبه خط الكاتب مانصه « الصواب فى هذا المعنى غير ماهو فى الأصل وهو : وبلغ المأمون الخطبة وما أحدثه لموسى بعده والله أعلم »

٢) بليدة بالقرب من هراة كثيرة الشجر والفواكه وأكثر خيرات هراة منها

وكان الحسين بن مصعب بفوسنج ، فلما قدم إلى حضرة المأمون ، وعرف خبر ابنه طاهر ، أنكر تعرضه لما تعرض له ، وقال : الفتن لا يتعرض فيها إلا كل خامل ، لا أصل له ولا نباهة ، ليذكر فيها أو يعطب فلا يبالى ، وأنت فلك قديم مؤثل ، فقال له : لم يذهب على ما قلت ، ولكنى خفت إن لم اقبل ما دعيت اليه أن يقلد الأمر غيرى وأضم اليه ، فلأن أكون متبوعا ، أفضل من أكون تابعاً .

قال عبيد الله بن الحسن بن سهل سمعت أبى يقول :

لما انتهى إلى الفضل بن سهل خبر على بن عيسى ، وخروجه من العراق ، أمر القواد كلهم بجمع اولادهم ، فأتى الحسين بن مصعب بطاهر ، فلما رأى طاهرا أعرض عن غيره ، وكان أعور كريه الوجه مشمرا ، وجعل يقول : هو هو ، ثم عقد له على الرى ، فرمى الحسين بن مصعب نفسه بين يديه ، واستعفاه من انفاذه ، وقال له : إنى لم أقل هذا إشفاقا عليه ، ولكن خوفا من ان يحدث عليك حادثه يعسر تلافيها ، فوالله لقد كنت أراه فى ولاية على بن عيسى خراسان ، وانه ليقف بين يديه فى جملة خلق كثير ، وفرائصه ترعد منه ، ولعله ان ينظر اليه بتلك العين

فقال له الفضل بن سهل : أمسك ، فقد عقدت له عقدا لا ينتقض نيفا وستين سنة .

ولما عزم محمد على مكاتبة المأمون بأن ينزل له عن بعض أعماله ، تقدم الى إسماعيل بن صبيح أن يكتب اليه فى ذلك ، فقال : ياأمير المؤمنين إن مسألتك له الصفح عن بعض ما فى يديه توكيد للظن ، وتقوية للتهمة ، ومدعاة للحذر ولكن تكتب اليه ، وتعرفه حاجتك اليه ، وشوقك إلى قربه ، وإيثارك الاستعانة برأيه ومشورته ، وتسأله القدوم عليك ، فان ذلك أحرى ان لا يوحشه فقال : اكتب بذلك ، فكتب به ، فلم يلتفت اليه المأمون ، ولا اجابه عنه .

ثم ألح الفضل بن الربيع على محمد فى خلع المأمون ، وقوى عزمه فيه ، واعانه عليه على بن عيسى ، فبايع لابنه بالعهد بعده ، وسماه « الناطق بالحق » ، وخلع المأمون والقاسم ، وكتب الفضل بن الربيع عنه بذلك ، وبالنهى عن الدعاء لهما على المنابر ، واحضر عبد الله بن محمد احد الحجبة ، وسأله التلطف فى اخذ الكتابين اللذين كان الرشيد علقهما فى بيت الله الحرام بالبيعة ، ففعل ذلك وسرقهما وصار بهما إليه ، فدفعهما الفضل إلى محمد فمزقهما .

وسارت الركبان فى الآفاق بغدر محمد ، وبحسن سيرة المأمون ، فاستوحش الناس منه ، وانحرفوا عنه ، وسكنوا إلى المأمون ، ومالوا إليه .

وكان محمد لما أجمع على خلع المأمون شاور يحيى بن سليمان فى ذلك ، فقال له وكيف بذلك يا أمير المؤمنين مع ما وكده الرشيد من بيعته ، وتوثق فى عهده عند خاصته وعامته ؟ فقال له محمد إن ذلك كان فلتة وخطأ من رأى الرشيد ، شبه عليه فيه جعفر بن يحيى بسحره ، فغرس لنا غرس مكروه ، لا ينفعنا ما نحن فيه إلا بقطعه ، وأنت رجل مهذار ، ولست بذى رأى مصيب ؛ والرأى إلى الشيخ الموفق ، والوزير الناصح ، قم فالحق بمدادك وأقلامك ، يعنى محمد بهذا القول الفضل بن الربيع .

وكان بكر بن المعتمر يعاون الفضل [١] على رأيه عند محمد فى مساءة المأمون قال يوسف بن محمد شاعر طاهر بن الحسين أبياتاً منها :

أضاع الخلافة غِشُّ الوزير	وحمق الأمير وجهل المشير
فبكرٌ مشيرٌ وفضلٌ وزيرٌ	يريدان ما فيه حتف الأمير
ومن يؤثر الفسق يخذل به	وتنفر عنه بنات الضمير
لواط الخليفة أعجوبة	وأعجب منه بغاء الوزير
فهذا ينيك وهذا يُناكُ	كذاك لعمرى اختلاف الامور

١) الاصل يعاون الحاج وقد صححناها عن هامش الاصل

فلو يستعفان هـذا بذا   لكانا بعرضة أمر ستير

وجهز محمد على بن عيسى فى سنة خمس وتسعين ومائة ، فكان من أمره ما كان ، فلما ورد خبر قتله ، أشار الفضل بن الربيع على محمد بقبض ضياع المأمون وماله ببغداد والسواد ، فأذن له فى ذلك ، ففعل

ولما قتل طاهر بن الحسين علىّ بن عيسى ، دعا بكاتبه ليكتب إلى الفضل ابن سهل بخبره ، فلم يكن فى الكاتب فضل ، لإفراط الجزع ، وشدة الزمع بما شاهد ، فكتب طاهر إلى الفضل بيده ، وكانت عادته أن يخاطبه بالإمرة ، فأسقط ذلك وكتب : أطال الله بقاءك ، وكبت أعداءك ، وجعل من يشنؤك فداءك ، كتبت إليك ورأس علىّ بن عيسى بين يدى ، وخاتمه فى إصبعى ، وعسكره تحت يدى ، والحمد لله رب العالمين .

فلما وصل الكتاب إلى الفضل أنكره ، حتى وقف على ما تضمن ، فقال : حق له ، ونهض فدخل على المأمون فسلم عليه بأمير المؤمنين .

وقيل إن [الخريطة] سارت ، وبين الموضع وبين مرو نحو من مائتين وخمسين فرسخا ، ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الأحد ، فوردت يوم الأحد .

ثم أمر محمد الفضل بعد قتل علىّ بن عيسى بتجهيز عبد الرحمن الأنبارى ، فجهزه وشخص ، وكان من أمره وقتله ما كان .

ثم دعا الفضل بن الربيع بأسد بن يزيد بن مزيد ، قال : فدخلت عليه وهو فى صحن داره ، وهو يقول : ينام نوم الظربان ، وينتبه انتباه الذئب ، همه بطنه ، لا يذكر زوال نعمة ، ولا يروى فى إمضاء رأى ، قد شغله كأسه ولهوه عن مصلحته ، والأيام توضع فى هلاكه .

ثم أقبل علىّ ، فقال لى : إنما نحن وأنت يا أبا الحارث شعب من أصل ، إن قوى قوينا ، وإن ضعف ضعفنا ، وإن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمة الوكعاء ، يشاور النساء ، ويخلد إلى الرؤيا ، وهو يتوقع الظفر ، ويتمنى عقب

الأيام ، والحتف أسرع إليه من السيل إلى قيعان الرمل ، وقد خشيت والله أن يهلك هلاكه ، ونعطب لعطبه ، وقد فزعت إليك فى لقاء هذا الرجل لأمرين أحدهما : صدق طاعتك ، وفضل نصيحتك ، والثانى : يمن نقيبتك ، وشدة بأسك ، والاقتصاد رأس النصيحة . فاشتط عليه أسد فيما ألتمسه من الأموال ، والعتاد ، والرجال ، والسلاح ، فصار به إلى محمد ، وعرفه ذلك ، فغضب وأمر بحبسه .

وكان الفضل بن الربيع يقول : مسألة الملوك عن حالهم من تحية النوكى ، فاذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صبح الله الأمير بالكرامة ، وإذا أردت أن تقول : كيف يجد الأمير نفسه ؟ فقل : أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة ، فان المسألة توجب الجواب ، فإن لم يجبك اشتد عليك ، وإن أجابك اشتد عليه

وأهدى أبو العتاهية إلى الفضل نعلا ، وكتب إليه :

نعل بعثت بها لتلبسها ... تسعى بها قدم إلى المجد
لو كنت أقدر أن أشركها ... خدى جعلت شراكها خدى

وكان أبو نواس ينادم محمدا ، ويخص به ، وله فيه أشعار كثيرة ، ومعه أخبار مشهورة ، فقال الفضل بن سهل يزرى على محمد به ، ويعيبه باحتماله إياه ، وكيف لا يستحل قتال محمد ، وشاعره يقول فى مجلسه مالا ينكره عليه ؟ وهو :

ألا فاسقنى خمراً وقل لى هى الخمر ... ولا تسقنى سراً إذا أمكن الجهر

فبلغ ذلك محمداً ، فأمر بإحضار أبى نواس ، فأحضره وعنده سليمان بن أبى جعفر ، وقد كان اتصل بمحمد عنه أنه قال :

وقد زادنى تيهاً على الناس أننى ... أرانى أغناهم وإن كنت ذا عسر
ولو لم أنل فضلا لكانت صيانتى ... فمى عن جميع الناس حسبي من الفخر
فلا يطمعن فى ذاك منى طامع ... ولا صاحب التاج المحجب فى القصر

وهذه الأبيات من قصيدة له جيدة ، وأولها :

ومستعبد إخوانه بثرائه لبست له كبراً أبرَّ على الكبر

وبلغه أنه قال :

إسقنيها يا ذُفافهْ مزَّةَ الطعمِ سلافهْ

ذلَّ عندى من جفاها لرجاء ومخافهْ

مثل ماذلت وضاعت بعد هارون الخلافهْ

فلما دخل عليه ، قال له ياعاضَّ بظر أمه شحمةَ العاهرة ، وشتمه أقبح شتم ، وأنت تتكسب بشعرك أوساخ أيدى جميع الناس ، ثم تقول

ولا صاحبُ التاج المحجبُ فى القصر

فقال له سليمان بن أبى جعفر وهو والله يا أمير المؤمنين من كبار الثنوية ، فقال له أيشهد عليه بهذا أحد ؟ فاستشهد سليمان جماعة ، شهد بعضهم أنه وضع قدحا فى يوم مطر ، حتى قطر فيه من المطر قطر كثير ، وقال بعد شربه إياه يزعمون أن مع كل قطرة ملكا ، فكم ترانى قد شربت من الملائكة ! فوجه به إلى الفضل بن الربيع ، وأمره بحبسه مع قوم كانوا يتهمون بالزندقة ، فقال فى حبسه أبياتاً منها :

لا العذر يقبل لى فتقبل توبتى فيهم ولا يرضون حلف يمينى

أما الأمين فلست أرجو دفعه عنى فمن لى اليوم بالمأمون ؟

فبلغت أبياته المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأُغنينه غنى لا يؤمله . فمات قبل دخول المأمون مدينة السلام .

وكان للفضل بن الربيع خال يستعرض أهل السجون ويتعهدهم ، فدخل إلى الحبس الذى هو فيه ، ولم يكن يعرفه ، فقال له ياهذا ، أنت زنديق ؟ فقال له أبو نواس معاذ الله ، فقال له فلعلك ممن يعبد الكبش ؟ فقال له أنا آكل الكبش بصوفه ، فقال له فلعلك تعبد الشمس ؟ فقال له إنى لأَتجنب القعود فيها

بغضاً لها ، فقال فبأى جرم حبست ؟ فقال لأنى أنام خلف الناس ، فقال له ليس الأمر كذلك ، قال والله لقد صدقتك ، فجاء إلى الفضل : فقال له يا هذا لاتحسنون جوار نعم الله بحبس الناس بغير جرم ! فقال وما ذاك ؟ فخبره الخبر ، فضحك منه ، وعرف محمداً الخبر ، وشفع إليه فيه ، فأمر باستحلافه أن لايشرب ولا يفسق ، ففعل ذلك ، فأطلقه ، فقال فيه :

ما من يد فى الناس واحدة　　كيدٍ أبو العباسِ أولاها[1]
نام الكرام على مضاجعهم　　وسرى إلى نفسى فأحياها
قد كنتُ خفتك ثم آمننى　　من أن أخافك خوفك الله
فعفوت عنى عفو مقتدر　　وجبت له نقم[2] فألغاها

وله أيضاً فيه ، وفى توبته

أنتَ يابنَ الربيع علمتنى الخـير وعودتنيه والخيرُ عادَه

وعتب الفضل بن الربيع على إبراهيم بن سيابة[3] الشاعر فى شىء ، فكتب إليه :

إن كان جرمى قد أحاط بحرمتى　　فالحظ بحرمى عفوك المأمولا
هبنى ظلمتُ ، وماظلمت، بلى ظُلِمْـت أُقِر كى يزداد مجدك طولا

ووجدت بخط ميمون بن هارون حدثنى إسحاق بن إبراهيم ، قال حدثنى الفضل بن الربيع ، قال كنت أقرأ كتابا ، وإلى جانبى رجل من أهل المدينة ، فجعل ينظر فى كتابى ، فقلت له ما تصنع ويحك ! فقال حدّثت أنه من اطلع فى كتاب أخيه بغير أمره ، فإنما يطلع فى النار ، ولنا أشياخ قد تقدموا ، فقلت لعلى أن أرى بعضهم .

ولما أفضت الخلافة إلى محمد الأمين أطلق محمدا وموسى ابنى يحيى بن خالد

---

١) فى ابن قتيبة : أبو العباس مولاها　٢) فى الاصل وجبت له نعم
٣) الاصل شبابة وهو خطأ والتصويب عن الاغانى

من الحبس بالرقة ، ووصل جماعة آل برمك الرجال والنساء ، وأحسن إليهم ولم يتصرفوا معه ، فلما ضاق أمر محمد ، وحبسه الحسين بن على بن عيسى ، وأحاط هرثمة بالمدينة : شخص العباسُ بن الفضل بن يحيى ، وأحمد بن محمد ابن يحيى إلى الفضل بن سهل ، فلما وصلا إليه برهما ، وأكرمهما أشد إكرام ، وأوصلهما إلى المأمون ، ولم يزل قائما حتى قبلا يده ، والمأمون يقول له اجلس ياذا الرياستين ولا تقم ، فيقول يا أمير المؤمنين ، إن لهما على حقا أرجو أن أقضيه بك ، ثم أمر بالخلع عليهما وحملانهما ، وأجرى عليهما أنزالا واسعة ، وكتب إلى محمد بن يحيى يستدعى مصيره إليه ، ويشير عليه بالدخول فى جملة المأمون ، فلما وصل الكتاب إلى محمد بن يحيى بادر بالخروج إلى طاهر ، لمكانه من اصطناع الفضل بن سهل ، فبرّه طاهر وأكرمه ، وأقام موسى بن يحيى مع محمد ، وفارق الكتابة إلى السيف ، فناصح له ، وقاتل دونه ، وبذل نفسه فى الدفع عنه ، ولم يفارقه حتى قتل ، وانضم إلى هرثمة ، واجتمع معه على حرب أبى السرايا ، وخاض تلك الفتن المشهورة ، فلما ورد المأمون العراق صار إليه ، فبرّه وأكرمه وقدمه ، وانبسط إليه فى المشورة والرأى ، حتى غلب عليه .

وكان الأمين لاعب الفضل بن الربيع بالنرد ، ورهنا خواتيمها على شىء اتفقا عليه ، على أن يحضره المقمور منهما ، فقمر محمد الفضل ، فصار خاتمه فى يده ، وكان نقش فصه « الفضل بن الربيع » ونهض ليبول وهو معه ، فدعا بنقاش ، فكتب تحت السطر الذى فيه الكتاب فى الفص « ينكح » ، فصار يقرأ « الفضل بن الربيع ينكح » ثم عاد إلى مجلسه ، وأحضر الفضل فكاك الخاتم ، فدفعه إليه ، فلما كان بعد عشرة أيام ، دعا بالفضل ، وعاود ملاعبته بالنرد وأخذ الخاتم منه ، فتأمله ، وسأله عن نقشه ، فقال له : اسمى واسم أبى فقال أرى عليه شيئاً آخر سوى ذلك ، ودفع الخاتم إليه ، فتأمله ، فلما رأى ماأحدث فى خاتمه ، لم يتمالك أن قال : « إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا

ما بأنفسهم » ، هذا خاتم وزيرك ، يختم به على جميع الآفاق منذ عشرة أيام ، ومن كاتبته أخوك الذى يظهر أنك لست موضعا للخلافة . ويجمع خلعك ، والله ما بقيتَ من هتك نفسك عند أوليائك ، والمنافقين لك ، والمطرحين يغضك شيئا إلا وقد أتيته ، وما يضرذلك الفضل ولاالربيع ، والله المستعان . فما زاد محمد على الضحك شيئا .

وفى الفضل بن الربيع يقول إسماعيل القراطيسى :

لئن أخطأتُ فى مدحيـك ما أخطأتَ فى منعى
لقد أحللتُ حاجاتى بواد غير ذى زرع

وكان الفضل بن الربيع وعد زبير بن دُحمان المقام عنده ، فدخل زبير إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، فسأله أن يقيم عنده ، فقال له إنى قد وعدت أبا العباس الفضل بن الربيع بالمقام عنده ، فقال إسحاق :

أقِم يا أبا العوام ويحك نشربُ ونله مع اللاهينَ يوما ونطربُ
إذا ما رأيت اليومَ قد بانَ خيره فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

فأقام عنده ، وأخلّ بالفضل بن الربيع .

وعزم الأمين يوما على الاصطباح ، وأحضر ندماءه والمغنين ، وصُفت الموائد : فلما ابتـدأ ليأ كل ، دخل عليه اسماعيل بن صبيح ، فقـال يا أمير المؤمنين ، هذا هو اليوم الذى وعدتنى فيه أن تنظر فى أعمال الخراج والضياع وجماعات العمال ، وقد اجتمعت علىّ أعمال ، منـذ سنة لم تنظر فى شىء منها ، ولم تأمر فيها ، وفى هذا دخول خلل فى الأعمال ، فقال له محمـد إن اصطباحى لايحول بينى وبين النظر ، وفى مجلسى من لا أنقبض عنه ، من عمى وبنى عمى وإخوتى ، وهم أهل هذه النعمة ، التى يجب أن تحاط ، فأحضر ما تريد عرضه ، فاعرضه علىّ(١) وأنا آ كل ، لأتقدم إليك فيه بما تحتاج إليه ، إلى أن يرفع الطعام

١) فى الاصل فاعرض على

ثم أُتم النظر فيما يبقى ، ولا اسمع سماعا أو ابرم الباقى ، وافرغ منه . فحضر كتاب الدواوين بأكثر ما فى دواوينهم ، واقبل إسماعيل بن صبيح يقرأ عليهم ومحمد يأمر وينهى بأحسن امر ونهى واشده ، وربما شاور من حوله فى الشىء بعد الشىء ، وكلما وقع فى شىء وضع بالقرب من إسماعيل بن صبيح ، ورفعت الموائد ، ودعا بالنبيذ ، وكان لا يشرب فى القدح اقل من رطل واحد فى تتميم العمل ، ثم دعا بخادم له ، فناجاه بشىء امرَّه إليه ، فمضى ثم عاد ، فلما رآه نهض واستنهض سليم بن على ، وإبراهيم بن المهدى ، فما مشوا عشرة اذرع ، حتى اقبل جماعة من النفاطين فضربوا تلك الكتب والأعمال بالنار ، وكان الفضل بن الربيع حاضرا ، فلحق محمدا وقد شق ثوبه ، وهو يقول اللهُ واللهُ اعدل من ان يرضى ان يكون مدبراً أمور أمة نبيه محمد صلى الله عليه ، من هذه افعاله ! ومحمد يضحك ، ولا ينكر على الفضل قوله .

وفى إسماعيل بن صبيح يقول ابو نواس ويخاطب الأمين

أَلست أَمين الله سيفك نقمةٌ   إذا ماق يوما من خلافك مائق

فكيف بإسماعيل يسلم مثله   عليك ، ولم يسلم عليك منافق

أُعيذك بالرحمن من شر كاتب   له قلم زان ، وآخرُ سارقُ

وفيه يقول أيضاً :

خبزُ إسماعيل كالوشـ   ى إذا ما انشق يرفى

إن رفاءكَ هـذا   أحذق الأمة كفا

عجباً من أثر الصنـ   عة فيه كيف تخفى !

أحكم الصنعة حتى   لايرى مطعنُ إشفى

وله فى الماء أيضا   فطنةٌ أبدع ظرفا

يمزج المالحَ بالعذ   ب لكى يزداد ضعفا

وهو لا يشرب منه   مثل ما يشرب صرفا

وكان صبيح أبو اسماعيل مولى عتاقة لسالم الأفطس ، ولما أعتق سالم الأفطس صبيحا : جعله قيما لمسجد حران وكان سالم الأفطس مولى عتاقة لبنى أمية .

وكان أبو الخطاب محمد بن الخطاب بن يزيد بن عبد الرحمن ، لسان الحسن ابن سهل عند المأمون ، وخطيبه بحضرته بفضله ومعاذيره ، وكان قصد طاهر ابن الحسين ، وطاهر بالجزيرة ، فأكرمه وبره ، وسرحه إلى الفضل بن سهل فمر فى طريقه بخالد بن يزيد بن متى الكاتب ، وكان يتقلد الموصل من قبل طاهر بعد قتل المخلوع ، وقد شرع يزيد بن متى فى قتال قوم من العرب بغير أمر طاهر ، فأنكر عليه ذلك ، ونفذ إلى الحسن بن سهل ، واتصل خبر قتال يزيد العرب بطاهر ، فوقع إليه

أقذر بدنيا ينال المخطئون بها حظ المصيبين والمغرور مغرور

وصرفه .

ولما رأى الفضل بن الربيع قوة أمر المأمون ، واتصال ضعف محمد وتخليطه ، وانفلال الناس عنه ، وتمزق الأموال التى كانت فى يده ، استتر فى رجب من سنة ست وتسعين ومائة ، وتمم استتاره إلى أن غلب على بغداد محمد بن أبى خالد ، وحارب الحسن بن سهل ، وغلبه على ما بينها وبين واسط ، فاستأمنه الفضل بن الربيع وظهر ، ولم يزل ظاهراً إلى أن غلب إبراهيم بن المهدى على الأمر ، وتسمى بالخلافة ، فصار إليه ، فرسمه لحجابته ، فكان فتيان آل الربيع يقومون بها ، ليرفع الفضل عنها ، ثم اختل أمر إبراهيم ، واتصلت الأخبار بإجماع المأمون ورود العراق ، فعاد الفضل إلى استتاره .

وتقلد موسى بن أبى الزرقاء فارس ، فاستكتب علىَّ بن أبى كبير الكوفى ، وكان شاعراً ظريفا صاحب شراب ولهو ، فشرط عليه ألا يأتيه فى يوم جمعة ، فاحتاج موسى إلى حضوره فى يوم الجمعة لأمر طرقه ، فوجه إليه فأحضره ،

فخضر وهو شارب ، فقال له ويحك ؟ ماذا تشرب ؟ قال أقرب ما أحل الله ، مما حرم الله ، فهل شربت — أصلحك الله — شرابا قط، حتى لانت أعطافك ، وسخت نفسك ، وحبب إليك جلساؤك ؟ قال لا والله ، قال فهل خرجت فى صيد فبادرت أصحابك إلى طريدتك ، ووثبت عن دابتك ، وتوليت ذبحها بيدك ؟ قال لا والله قال فهل عشقت حتى راسلت وكاتبت ، ووعدت وتوقعت ؟ قال لا والله ، قال فوالله ماذقت لذة العيش قط ، ولا تفلح أبداً .

ولما استتر الفضل بن الربيع صار زهير بن المسيب إلى داره فى شارع الميدان فسكنها رعاية لحرمته ، ولحقوق كانت بينه وبين الفضل ، وأراد بما فعله حفظها عليه . فلما صار فيها أقام فى حجرة منها كانت تعرف بدار الذهب ، وأقر حرم الفضل وخدمه وأسبابه فى مواضعهم منها ، ودعا بسليم خادم الفضل ، فقال له إنى إنما سكنت هذه الدار ، لكيلا يطمع فيها أحد ، ولا يجترىء على دخولها ، ولأصون من فيها من أسباب أبى العباس ، ودفع إليه عشرة آلاف دينار ، وقال له انفقها على عيال أبى العباس ، فانما أنا حافظ لهم ولهذه الدار ، فشكر الفضل له ذلك ، وامر برد الدنانير عليه

فلما ورد المأمون العراق أسكنها القاسم بن الرشيد ، فلم يزل فيها إلى ان ظهر الفضل ، فنقله عنها ، وسلمها إليه .

ولما قتل طاهر محمداً المخلوع ، وأنفذ رأسه إلى المأمون ، فقال الفضل بن سهل : ما فعل بنا طاهر ؟ سلّ علينا سيوف الناس وألسنتهم ، أمرناه أن يبعث به أسيرا ، فبعث به عقيراً !

وذكر على بن أبى سعيد أنه رأى رأس محمد وقد أدخله ذو الرياستين على ترس بيده إلى المأمون ، فلما رآه سجد ، ثم أمر المأمون ان ينشىء كتابا عن طاهر يخبره ليقرأه على الناس ، فكتب عدة كتب لم يرضها واستطالها ، فكتب أحمد بن يوسف فى ذلك كتابا نسخته

« أما بعد فان المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين فى النسب واللحمة ، فقد فرق حكمُ الكتاب والسنة بينه و بينه فى الولاية والحرمة ، لمفارقته عصمة الدين ، وخروجه من الأمر الجامع للمسلمين ، يقول الله عزوجل فيما اقتص علينا من نبأ نوح « يانوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح »

ولا صلة لأحد فى معصية الله ، ولا قطيعة ما كانت القطيعة فى ذات الله ، وكتبت إلى أمير المؤمنين وقد قتل الله المخلوع ورداه رداء نكثه ، وأحصد لأمير المؤمنين أمره ، وأنجز له ما كان ينتظره من وعده ، فالحمد لله الراجع إلى أمير المؤمنين معلومَ حقه ، الكائد له من ختر عهده ، ونقض عقده ، حتى رد الله يد الألفة بعد فرقتها ، وأحيا به الأعلام بعد دروسها ، وجمع به الأمة بعد فرقتها ، والسلام »

فلما عرض النسخة على ذى الرياستين رجع نظره فيها ، ثم قال لاحمد بن يوسف : ما أنصفناك ! وأمر له بصلات وكسى وكراع وغير ذلك وقال له : إذا كان غداً فاقعد فى الديوان ، وليقعد جميع الكتاب بين يديك ، واكتب إلى الآفاق .

ولما استقامت الأمور للمأمون رد التدبير إلى ذى الرياستين، و مضاها على رأيه، وكتب إلى طاهر وهرثمة بتسليم مافى أيديهما من العمل إلى على بن أبى سعيد، ابن خالة الفضل بن سهل، وكان يعرف بذى القلمين.

وكان على بن أبى سعيد كريما متكبراً، قليل الضحك، وذكر الأصمعى أنه اجتهد فى أن يضحكه فما ضحك إلا مرة متبسما، قال: ولقد أضحكت الرشيد ويحيى بن خالد فمن دونهما. قال وأمر لى مرة بطيلسان، فلما ألقاه الغلام علىّ، لزمت الذى كان علىّ بيدىّ جميعاً، فقال لغلامه: ألبسه فوقه، فألقاه فوق طيلسانى، فمسته بيدى، فقال لى كأنك تسترقه؟ قلت نعم. فأمر لى بطيلسان أصفق منه، فلما ذهب الغلام ليلقيه علىّ، أمسكت الطيلسانين الأولين بيدى، فقال للغلام: ألبسه فوقهما، فألقاه علىّ، فقمت وعلىّ ثلاثة طيالسة، فتبسم حينئذ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم.

ثم قلد المأمون الحسن بن سهل خلافته، وأنفذه إلى العراق، فلما خرج من حضرته خرج معه مودعا له، فلما بلغ غاية المشيع قال له: أذكر يا أبا محمد حاجة إن كان لك، فقال له، نعم يا أمير المؤمنين، احفظ على من قلبك مالا أستطيع حفظه إلا بك.

ولقب المأمون الفضل بن سهل «ذا الرياستين» ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير، وعقد له على سنان ذى شعبتين، وأعطاه مع العقد عَلما قد كتب عليه لقبه، فحمل العقد علىّ بن هشام، وحمل العلم نعيم بن حازم.

وكان الفضل يؤمر مع الوزارة، وهو أول وزير لقب، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير.

وذكر عيسى بن محمد بن حميد أنه رأى توقيعاً بخط المأمون للفضل بن سهل: «أغنيت يافضل بن سهل بمعاونتك إياى على طاعة الله، وإقامة سلطانى فرأيت أن أغنيك، وسبقت الناس من الحاضر كان لى، والغائب كان عنى،

وأحببت أن أسبق إلى الكتاب لك بخطى ، بما رأيته على نفسى ، وأنا أسأل الله تمامه ، فإن حولى وقوتى ومقدرتى وقبضى وبسطى به ، لاشريك له ، وقد أقطعتك السيب بأرض العراق ، على حيازة تميم مولى أمير المؤمنين ، عطاء لك ولعقبك ، لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتى ، ولما قمت به من حق الله وحقى ، فلم تأخذك فى لومة لائم ، ولم تراقب ذا سلطان ولا غيره ، وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبه من يقول فى كل شىء فيسمع منه ، ولا تتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمرتك به ، من العمل لله ولنبيه ، والقيام بصلاح دولة أنت ولىُّ بقيامها ، وجعلت ذلك كله لك بشهادة الله ، وجعلته لك كفيلا على عهدى .
وكتبت بخطى سنة ست وتسعين ومائة .

وكان ذو الرياستين يقول لكتابه : قاربوا بين الحروف ، لئلا يسافر البصر سفراً بعيداً فى حروف قليلة .

قال الفضل بن مروان : قال لى المأمون : جهدت بالفضل بن سهل الجهد كله أن أزوجه بعض بناتى ، فأبى ، وقال : لو صابتنى ما فعلت .

وكان الفضل بن سهل سخيا سريا ، نبيل النفس ، كثير الإفضال ، يذهب مذاهب البرامكة فى ذلك ، وكان غليظ العقوبة إذا عاقب ، مقدما إذا أنكر ، حسن الرجوع إذا استعطف ، وكان حسن البلاغة ، مستقلا بما يحتاج إليه من حل محله .

وحكى أنه كان ربما أنكر على بعض أصحابه شيئا ، فإذا تقرب إليه بخدمة أو مناولة شىء ، أو ملازمة ، زال مافى نفسه .

وكان إذا سأله أحد حاجة يقول : أكره أن أقول : نعم ، فأكون ضامناً ، أو أقول لا ، فأكون مؤيسا ، ولكن ننظر ويسهل الله ، ولا ينصرف أحد من عنده إلا وهو راض .

وكان مهذاراً مكثاراً ، يشير بيده إذا تكلم ، ويحب أن يتصل كلامه ،

وكان يأخذ اللقمة بيده ويبدأ بكلام ، فلا يقطعه حتى تبرد .

وكان الفضل يقول : عجبت لمن يرجو من فوقه ، كيف يمنع من دونه .

وكان يقول : إذا أعطيت الرجل شيئا فقطعه عليه ، فإنه لا يسألك حاجة حتى يستنفد ذلك ؛ ويقطع به دهراً .

ووقع الفضل إلى خزيمة بن خازم : « الأمور بتمامها ، والأعمال بخواتيمها ، والصنائع باستدامتها ؛ وإلى الغاية جرى الجواد ؛ وهناك كشفت الخبرة قناع الشك ، فحمد السابق ، وذم الساقط » .

وكتب صاحب المقاطعة بهمذان إلى الفضل يذكر أن كاتب المتولى للبريد بهذه الكورة ، ذكر أن صاحبه اقتطع مالا جليلا من مال السلطان ، وأنه يصحح ذلك عليه ، وأنه وكل به وبصاحبه ، ليصحح ما رفعه ، فوقع على كتابه : « قبول السعاية شر من السعاية . لأن السعاية دلالة ، والقبول إجازة ، ومن قبل ما نهى الله عنه ، كان بعيداً منه ؛ وحقيقاً ألا يقبل قوله ، فانف هذا الكاتب ، فإنه لم يرع ما كان يجب أن يرعاه من حقوق صاحبه ؛ وحرمة خدمته .

وكان الفضل يبغض السعاة ويقصيهم ، وإذا أتاه ساع قال له : إن صدقتنا أبغضناك ؛ وإن كذبتنا عاقبناك ، وإن استقلتنا أقلناك .

ويشبه هذا ما ذكر عن الوليد بن عبد الملك أنه قال لمتنصح أتاه يستخليه : إن كانت نصيحتك لنا فأظهرها ، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة بنا إليها ، فقال له : جار لى أخل ببيعته . فقال له : أما أنت فتخبرنا أنك جار سوء ، فان شئت أن تنظر ، فان كنت صادقا أقصيناك . وإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن شئت تاركناك ؛ فقال بل تتاركني .

وكان الفضل قد حرّم النبيذ ، وحظر شربه ، وأمر بعقوبة شاربه .

قال أبو الحسن بن أبى عباد : كان فى جوارنا رجل من آل حماد البربرى ، مشهور بالخطارة والنزق ؛ فأتلف ماله فى هذا الباب ؛ حتى أفلس ، فكان يقول

لجونه فى مجلسه زيدونا قحاباً . فلما لم يبق له شىء أظهر الزهـد رياء ، وأظهر رفض ما كان فيه . وشخص إلى ذى الرياستين . فانصرف إلينا، وهومن أحسن الناس حالا فى دينه وذات يده . فسألته عن ذلك ، فقال أتيت ذا الرياستين ، ذقمت ببابه على ما كنت أظهرته من الرياء . فلم ألبث أن سعى بى إليه وكيل له أنى متصنع ، فدعانى . فقال ياهذا ، قد فعلت فعلا إن كان على صحة من نيتك فالحمد لله . وإلاّ يكن ، فقدينبغى أن تعرف مقدار الباطل من الحق، قال فنفعنى كلامه ، فصححت التوبة ، ورزق الله منه فضلا كثيرا .

ولما استقام الأمر للمأمون جلس مجلسا عاما ، فحمد الله ، وذكر ما أولاه ، وعدد نعمه ، فى كلام طويل

فقال له الفضل بن سهل : إنه لم يكن أحد مع أمر الله ولزوم أدبه ، فأخافه ماتقدم الله به من عهده ، قال . « لئن شكرتم لأزيدنكم » فمتى كنت يا أمير المؤمنين موجبا شكره ، لم تجد خلفا فيما وعد من فضله وزيادته

فقال الحسن بن سهل : مما حفظ ياأمير المؤمنين عن العالمين قولهم : لاتخافوا الله مع الاحسان على انفسـكم ، وخافوا انفسكم على التقصير الموجب لحلول العقوبة بكم .

وكان يكتب لطاهر بن الحسين رجل يعرف بعيسى بن عبد الرحمن، فأنفذه إلى الفضل بن سهل ، وطاهر مقيم بالجزيرة ، والفضل بخراسان ، وقد كان الشغب للذى حدث بينهما ظهر

فأنفذ طاهر عيسى هذا يظهر الاعتذار وليستكفى مخاطبته إياه ، فورد عسكر المأمون بمرو ، وكثير ممن بها من الوجوه عاتب على الفضل ، فحضره وبحضرته عبد الله بن مالك الخزاعى ، وهو أشدهم عتبا فكلمه بكلام كثير ، أغلظ له به ، وعرض له بكل ما يكرهه ، ثم قال بعقبه : فلولا أنى رسول مأمون ماقلت ما قلته ، فقال له الفضل : أفما خشيت فى تحمل مثل هذه الرسالة القتلَ ؟

فقال عيسى . ما شككت فى القتل ، ولكنى مثلت بين أن آبى على صاحبي تحملها ، وبين ان اقبلها ، فرايت انى إن لم احملها عجل لى القتل وحصلت لى مذمة المخالفة ، وإن قبلتها كنت قد شكرت نعمته ، وأطعت امره وعشت بينه وبين الامير اعزه الله المسافة التى عشتها ، ثم لعلى ان اكون وردت من فضل الامير وعفوه وحلمه على ما ارجو الا ابعد عنه

فقال له الفضل : لو اطعت فيك النصحاء لاسترحت منك ، ولم تكلمنى فى مجلس امير المؤمنين ودار الخلافة بما كلمتنى به ، فقال له عيسى . وما راى النصحاء اعز الله الأمير ؟ فقال له الفضل ان كنت اضرب عنقك قبل ان تصل إلى ، وارد راسك فى مخلاة إلى صاحبك فأكون قد قطعت يده ولسانه .

فقال له عيسى : انا يده ولسانه ! والله لو انصاحبي اخرج يده من مضربه لوجد حوله سبعين ، سبعمائة ، بل سبعة آلاف كلهم اغنى واجزا واكفى منى ، ومن انا فيمن عضده الله به واعطاه من كفاته !

فبلغ هذا الكلام من الفضل كل مبلغ .

وكان عيسى كاتب طاهر لما دخل مجالس الفل نزع قلنسوته ، وجعلها إلى جانبه ، ثم فعل ذلك مراراً ، فقال نعيم بن حازم ليعقوب بن عبد الله ، وكان يعقوب آلفا لعيسى . إن ابا العباس - يعنى عيسى - إذا جلس فى مجلس الأمير يعنى الفضل - رفع قلنسوته عن راسه ، وهذا استخفاف منه بالامير ، قد انكره الناس ، وتكلموا فيه ، فاعلمه ذاك ، ليمسك عنه فيما يستقبل فانه إن عاود دنوت منه ، ورددتها على رأسه بعنف وانكار

فقال يعقوب لعيسى ذلك فقال له . بأى شيء رددت عليه ؟ قال . قلت له إنه محرور ، ولعله قد استأذن الأمير فى ذلك أن كان لا يجهل مايأتى ويذر ، قال والله مابى انى محرور ، وما استأذنت ولكنى أريد ان يعلم الفضل اولا ، ثم من حوله : انه اهون على وادق فى عينى مادام صاحبي - اعزه الله حيا ، من

هذه الشعرة ، وقلع شعرة من عرف دابته ومن فوق نعيم ، فضلا عن نعيم ، اشد تهيبا للاقدام على بشىء انكره! فلا يدخلك من قولهم شىء ، وعرّف نعيم بن حازم ماقلته .

وحكى أن المأمون قال للفضل بن سهل : قد كان لأخى رأى لو عمل به لظفر فقال الفضل : وما هو ياأمير المؤمنين؟ قال لو كتب إلى أهل خراسان وطبرستان ودنباوند أنه قد وهب لهم الخراج لسنة لم نخل من إحدى حالين ، إما رددنا فعله ، ولم نلتفت اليه ، فعصانا أهل هذه البلدان ، وانفسدت نياتهم ، فانقطعوا عن معاونتنا ، وإما قبلناه وأنفذناه ، فلم نجد مالا نعطى منه من معنا ، وتفرق جندنا ، ووهى أمرنا : فقال الفضل الحمد لله الذى ستر هذا الرأى عنه وعن نصحائه .

ودخل القاسم بن يسار الكاتب على الفضل بن سهل عند تقلده الوزارة وتقلبه فأنشده .

يأبا العباس إنى ناصح	لك والنصح لذى الود كبير
لا تعدن ليوم صالح	إن إخوانك فى الخير كثير
وليكن للشر ما أعددتهم	إن يوم الشر يوم قمطرير
هذه السوق التى أملتها	يأبا العباس والعمر قصير

وكان ابراهيم بن المهدى يتقلد البصرة من قبل المأمون ، وكاتبه ابراهيم ابن نوح بن أبى نوح .

وكان المأمون جد فى تجديد العهد لعلى بن موسى بن جعفر ، وتقدم لى الفضل بأخذ البيعة على الناس ، والكتاب إلى الاقاليم فى إبطال لبس السواد

وكتب الفضل بن سهل إلى الحسن يعلمه ذلك ويأمره بطرح لبس السواد وأن يلبس الخضرة ، ويجعل الأعلام والقلانس خضرا ، ويطالب بذلك ،

ويكاتب فيه عماله . فكتب الحسن إلى عيسى بن أبى خالد بذلك ، فدعا عيسى أهل بغداد ، وعرفهم ما كتب به الحسن ، فبعض أجاب ، وبعض امتنع ، ودب الهاشميون بعضهم إلى بعض ، وخلعوا المأمون ، وعقدوا الأمر لابراهيم بن المهدى فى يوم الثلاثاء لخمس بقين من ذى الحجة سنة احدى ومائتين وكان القيم بأمره عيسى بن محمد بن أبى خالد ، فكان من أمره ما كان .

وكان المأمون قال للفضل : ينبغى أن تحضر نعيم بن حازم ، فانه وجه من الوجوه ، وله سابقة وجلالة ورياسة ، فتناظره فيما أجمعناه من هذا الأمر . فأحضره الفضل بحضرة المأمون . وعرفه بما عزم عليه ، ورغبه فيه . وذكره ما يلزم من الانقياد لهُ ، فأبى ذلك نعيم ، وذكر ما كان منه ، ومن سلفه فى نصرة الدولة الهاشمية ، وما وصلوا اليه بها من العز والأمن والثروة والجاه ، وما بلغوه فيها من الحماية . وبذل المهجة ومقارعة الأعداء . وأنه لا يقبل الضيم ، ولا يسمح بطاعة من كان يسفك دمه ، ويدفعه عما يلتمسه ويقارعه دونه . فكلمه الفضل فى ذلك ، وخلط له ليناً وغلظة . فقال له نعيم : إنك إنما تريد [أن] تزيل الملك عن بنى العباس إلى ولد على ، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسروياً ، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة على وولده وهى البياض ، إلى الخضرة وهى لباس كسرى والمجوس ، ثم أقبل على المأمون فقال : اللهَ اللهَ يا أمير المؤمنين ، لا يخدعنك عن دينك وملكك ، فإن أهل خراسان لا يجيبون إلى بيعة رجل تقطر سيوفهم من دمه ، فقال له المأمون : انصرف ، ولم يظهر له غضبا

وأقبل على الفضل ، فقال له : ما ترى ؟ قال : أرى أن تخرج هذا عن خراسان ، فلا خير فى مقامه معنا ، فقال له أفلا أقتله ؟

فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك قتلت بالأمس هرثمة ، وقدره فى الناس قدره ، وأظهرت موته ، وقد تيقن الناس قتلك إياه ، وضربت عنق يحيى بن

عامر صبراً ، وأمرت بحمل عبد الله بن مالك ، وضربت استه كما يضرب الصبيان ، وأتخوف إن قتلت هذا أن يكون لأهل خراسان فى أمره حركة ، ولكننا نوجهه فى عدة قليلة ، ونأمره بمحاربة ابن شكلة ونكتب إلى كل عامل يجتاز به بترك إزاحة علله ، وقلة الالتفات إليه

فقال : إنى أكره أن يصير إلى ابن شكلة : فقال له : ذلك أهون علىّ فى أمره ، فقال له افعل ، ففعل ذلك

فصار نعيم بن حازم إلى ابن شكلة ، ولم يزل معه إلى أن استتر إبراهيم . ثم ظفر به ، وصير به إلى الحسن بن سهل

فذكر محمد بن الجهم أن نعيما أدخل حافياً حاسراً ، وقد كان الحسن جلس مجلساً عاما ، فلما وقف بين يديه أقبل يقول : ذنبي أعظم من السماء ، ذنبي أعظم من الهواء ، ذنبي أعظم من الماء ! فقال له الحسن على رسلك ، فقد تقدمت منك طاعة ، وكان آخر أمرك إلى توبة ، وليس للذنب بينهما مذهب ، وما ذنبك فى الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين عنك فى العفو ، وقد أقالك الله ، وعفا عنك .

وحكى ثمامة : أن الناس اجتمعوا جميعاً : القواد ، والقضاة ، والفقهاء ووجوه العامة ، وجلس الفضل على فرش مرتفعة ، فلما وصلوا إليه قام فخطب ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ابتدأ فى الوقيعة فى عبد الله بن مالك ، وذكر أنه كان يدعى [على] الرشيد فى حكايته دخول بيوت القيان ، وهو كاذب فى ذلك ، وهو الذى كان يأتى المواخير والدساكر ، لا يرفع عن ذلك نفسه ، ولا يأنف من فجره ولا يصون عرضه عن قذره .

قال ثمامة : ثم أقبل علىّ فقال وإن أبا معن ليعلم ذلك ، ويعرف ما أقول . فتركت تشييع قوله بالتصديق ، وأطرقت إلى الأرض ، ودخلتنى العصبية لعبد الله بن مالك ، للعربية أولا ، ثم لنفسه أخرى ، ثم عاد إلى أن يهتر عبد الله ،

ويتوسع فى الدعاوى عليه

ثم أقبل علىّ وقال : وإن ثمامة ليعلم ذلك ، فأطرقت وأمسكت ، وإنما كان يريد منى أن أشيع كلامه بالتصديق . فلما رأى إعراضى عن مساعدته ترك الإقبال علىّ ، وأخذ فى خطبته ، حتى فرغ من أربه فى عبد الله بن مالك .

فلما تفرق الناس وانصرفت علمت أنى قد وقعت ، وتعرضت لموجدة الفضل وهو الوزير ، وحالى عنده حالى . فلما وصلت إلى منزلى جاءنى بعض إخوانى ممن كان فى ناحية الفضل ، فأخبرنى أن يحيى بن عبد الله وغيره قالوا : ماذا صنعت يا أبا معن ؟ يخاطبك فتعرض عنه مرة بعد أخرى ؟ قال فقلت : أنا والله أحق بالموجدة عليه ، أعزه الله ، لأنه قام فى مثل ذلك المجمع ، وقد حضره كل شريف ومشروف ، ولم يستشهد بى فى خطبته ، وما أجراه من كلامه ، إلا فى موضع ريبة ، أو ذكر دسكرة ، أو منزل مقين أو مقينة ، والله ما أقدر أن أشهد بذلك إلا أن أكون للقوم تاليا . قال : صدقت ، والله يا أبا معن بئس الموضع وضعك ورجع اليه بكلامى . فقال : صدق والله ، وثمامة أحق بالمعتبة منا عليه واندفعت عنى موجدته ، وما كنت أردت إلا مادخلنى من الحمية لعبد الله بن مالك .

وكان سبب ضرب المأمون عبد الله بن مالك ، على ما حكاه فرج السلامى قال : حضرت يوماً المأمون بخراسان ، وقد جلس فى إيوانه وأسبل ستراً رقيقاً فى وجهه . وأمر باحضار قاضى خراسان . فأحضر ، وأذن له ، وأجلس فى مجلس أمر به ، فتقدم الفضل بن سهل مستعديا على عبد الله بن مالك ، فقال القاضى للفضل : ماتدعى ؟ قال : شتم أمى ، قال : وأمك باقية ؟ قال نعم ، قال : فالحق لها إن كنت صادقا ، فلتحضر وتطالب بحقها ، أو توكلك ، ويشهد عندى شاهدان أعرفهما بتوكيلها إياك بطلب حقها . فنهض الفضل من مجلسه ، ثم عاد بهارون بن نعيم والرستمى ، فشهدا عنده أن أمه قد وكلته بطلب حقها فقال القاضى لعبد الله بن مالك : ما تقول ؟ فأنكر ما أدعاه الفضل عليه ،

فقال للفضل : ألك بينة ؟ قال نعم ، فنهض من مجلسه ، ثم عاد ومعه هارون والرستمى ، فشهدا له بما ادعى على عبدالله ، فقال له الفضل : خذ لى بحقى ، فقال له القاضى : ليس بمثل شهادة هذين تباح ظهور المسلمين ، فاغتاظ الفضل من قوله ، وصاح المأمون من وراء الستر : احكم له بشهادتهما . فقال : أما أنا فما أبيح ظهر رجل مسلم بشهادة هذين ، ولا أحكم بقولهما ، وأنت الامام ، إن رأيت أن تحكم له فافعل .

فأمر المأمون بالقاضى فسحب حتى أخرج من الدار ، ثم أمر بعبد الله ابن مالك فحمل على ظهر رجل ، وأمر بضربه . وصار القاضى إلى منزله ، ولم يعاود القضاء[1] ، وامتنع ، فولى المأمون غيره .

قال هارون اليتيم : حضرت هرثمة بن أعين ، وقد قدم مرو إلى المأمون مغاضبا لذى الرياستين وكان ذو الرياستين يجلس على كرسى مجنح ، ويحمل فيه إذا أراد الدخول على المأمون فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه ، فاذا وقعت وضع الكرسى ، ونزل عنه فمشى ، وحمل الكرسى ، حتى يوضع بين يدى المأمون ، ثم يسلم ذو الرياستين ويعود فيقعد عليه ، وكان فيمن يحمل الكرسى سعيد بن مسلم ، ويحيى بن معاذ .

قال : وإنما ذهب ذو الرياستين فى ذلك إلى مذهب الاكاسرة فان وزيرا من وزرائها كان يحمل فى مثل ذلك الكرسى ، ويقعد بين أيديها عليه ، ويتولى حمله اثنا عشر رجلا من أولاد الملوك

فدخل هرثمة فى أصحابه دار المأمون ، فوجد ذا الرياستين جالسا على الكرسى فى الدار ، والمأمون فى دار أخرى ، فلما انتهى إلى موضعه قعد . ولم يسلم على ذى الرياستين ، وفى يدى ذى الرياستين كتاب يكتبه ، وهو مقبل عليه فلما فرغ منه التفت إلى هرثمة ، فقال : مرحبا وأهلا وسهلا يا أبا حاتم ، أبعدك

---

[1] فى الاصل ولم يعاود للقضاء

الله بمقدمك ، وعظم بركته عليك . فلم يرد عليه هرثمة شيئا . ثم قال : إني قد عرفت أمير المؤمنين — أعزه الله — خبرك وأن ما حملت نفسك عليه من الدخول بغير إذن لغير معصية منك ، وصرفتُ ذلك إلى أحسن الجهات ؛ فقبل ذلك ، ورجع عما سبق إلى قلبه منه . فلم يكلمه هرثمة .

ثم قام ذو الرياستين . فدخل إلى المأمون . ثم خرج وقال يا أبا حاتم قد عرفت أمير المؤمنين مكانك . والحال التي أنت عليها من العلة . وأنه لا يمكنك الوصول إليه إلا على الحال التي وصلت عليها إلينا . فلم يكلمه ، ثم أذن له المأمون . فدخل عليه ، فبره وأقبل عليه ، وأمر بأن يطرح له كرسي إلى جانبه ، واقبل عليه بوجهه يحدثه ويسائله ، ويدعوه بكنيته ، ودخل ذو الرياستين ، فطرح كرسيه ، وقعد عليه .

قال : فقال المأمون يا أبا حاتم . ما كان لتجشمك هذا السفر مع علتك معنى . فقال بلى يا أمير المؤمنين . تجشمته لأقضي حق الله عليّ في طاعتك وأنبهك على أمرك ، وأقول بالتنصح لك ، فقال يا أبا حاتم ؛ ليست بك حاجة إلى هذا وأنت تعب ، فانصرف إلى منزلك . قال كلا ، يا أمير المؤمنين ما تجشمت طول السفر لأنصرف إلى منزلي

قال بلى يا أبا حاتم . أحب أن تنصرف إلى منزلك وتدع ذكر ما لا تحتاج إليه . وما أنت عنه غني ، قال لا يا أمير المؤمنين ، أو أقضي الحق عليّ في نصحك ، لأني لا آمن أن يحدث علي في هذه الساعة حادثة ، فألقى ربي مقصرا في حق إمامي ، ثم التفت وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيت هذا المجوسي — يعني ذا الرياستين — في هذا المجلس ، على كرسي ، ثم قال : يا أمير المؤمنين : ما لمسرور وسلام يحبسان بغير ذنب ، ويأخذ هذا المجوسي أموالهما وأمتعتهما فيبيعها ويمزقها ! قال له : ياهرثمة ، — وترك الكنية — أمسك عن ذكر ما لا تحتاج إليه ، وغضب المأمون ، فقال : لا والله ، أو يدفع إلينا هذا المجوسي ،

فتنزل به ما يستحقه ، فقال له ذو الرياستين : وما أنت وهذا ياعلج ؟! خذوا برجله وجروه ، فتبادر الناس إلى هرثمة ، وأخذوا برجله ، وجروه من بين يدى المأمون ، وحبس ثمانية أيام ، وقتل ، ثم أخرج فى اليوم الثامن ميتاً فى لباده .

قال : ودخل على المأمون محمد بن سعيد بن عامر أحد قواد هرثمة ، فقال : السلام عليك يا أمير المنافقين ، فوثب إليه ذو الرياستين فضربه بسيفه حتى قتله .

وكان فيمن حضر مجلس ذى الرياستين قبل دخول هرثمة إلى المأمون ، أحمد ابن أبى خالد . فقام وقال : يا أيها الأمير - يعنى ذا الرياستين - إن سيوفنا قد ظمئت إلى دم هذا العاصى الخائن الخانع وبسط لسانه فى هرثمة ، ونال منه أيضاً بحضرة المأمون .

ولما دخل الرستمى على الفضل بن سهل بعد معصيته ، قال له الفضل إن كنا نرى العفو عمن لم يتقدم بحسنة فى طاعتنا ، ولم يأل جهدا فى مخالفتنا ، فأنت بالعفو أولى ، لتقدم طاعتك ، وأنك لم تغرق فى مخالفتك ، ولعل حادث ذنبك يذهب طرفا من دالتك ، ويحدث زيادة فى حبك ومناصحتك .

حدث الحسن بن محمد قرابة الفضل بن سهل قال حدثنى عبد الله بن بشر ، قرابة الفضل ، وكان يخصه ويؤنسه : أن الفضل كان إذا دخل من السيب إلى مدينة السلام لحوائجه نزل على رجل فامى ، يقال له خذابوذ ، وكان يخدمه هو وزوجته وولده ، ويقوم بحوائجه ، وأنه مكث بذلك زمانا ، ثم تهيأ من أمر الفضل ما تهيأ ، وتغيرت حال الفامى ، وتنكر الزمان له ، فذكر الفضل وما صار إليه ، ومكانه بخراسان فتحمل المشقة فى قصده ، على ظلع وتمحل لنفقته ، فقصد عبد الله بن بشر .

قال عبد الله : فلما رأيته سررت به ، وسألته عن حاله ، وأنكرت عليه تأخره مع حرمته وحقوقه ، وأمرت له بثياب ، وأصلحت من شأنه ، وكان ذلك بعقب ورود فتح بغداذ ، وابتداء صلاح الأمور وانتظامها ، فدخلت على الفضل وقد

دعا بطعامه ، وحضر مؤاكلوه ، من أهله وجلسائه ، قال فلما ابتدأ بالأكل قلت : أليس تعرف الشيخ الفامِيّ الذى كنا ننزل عليه ببغداد ؟ قال لى سبحان الله ! تقول لى تعرفه ، إنما ينبغي أن تسألنى عن اسم امرأته وصبيانه ، وكيف يمكننى أن أنساه وله من الحق علينا ما قد علمته ! وكيف ذكرته البائسَ ؟ أظن إنسانا أخبرك بموته ؟ فقلت له كلا ، بل هو والله فى منزلى . فلما سمع كلامى استطير فرحاً ، ثم قال : جيئونى به الساعة ، ثم رفع يده ، وقال : لا نأكل والله لقمة حتى نجىء به . قال فحين نظر إليه ، تطاول له ، وقال أبا فلان ! وأوسع له فيما بينه وبينه ، ثم أقبل عليه إقباله على أخ شقيق ، ثم قال له ياهذا : ما حبسك عنا طولَ هذه المدة ؟ فاعتذر اليه ، وذكر محناً أتت عليه ، ثم أقبل يسأله عن واحدة واحدة من بناته ، وعن كل شىء كان يعهده ، فقال ما بقي لى بعدك ولد ولا أهل ولا مال ، ولا تحملت إلا ببيع شىء من أثاث بقى لى ، فاستتمّ غداءه وهو كالمشغول عنه ، فرحاً بخذابوذ ، ثم أمر له بثياب من ثيابه .

قال : وكان التجار ببغداذ قد أنفذوا وكلاءهم ورسلهم إلى الفضل بن سهل ، ليناظروه عنهم فى غلات السواد ، وأعطوه عطايا لم يجبهم إليها ، فقال لى : قد علمت ما دار اليوم بينى وبين وكلاء تجار السواد ، وأنى تأبيت قبول ما بذلوه ، فأحضرهم ، وأمض البيع لهم ، على أن لخذابوذ معهم شركة فى البيع . قال ففعلت ذلك : فقال لخذابوذ كأنى بك الآن وقد خرجت إليهم الساعة ، فهوّلوا عليك وقالوا تحتاج إلى إنفاذ وكلائك معنا ، وأن تسلفهم ، وتطلق لهم نفقات ، ويبذلون لك ربحك فى سهمك مائة ألف درهم . فلا تقبل منهم أقل من خمسين ألف دينار أبدا ، فقال له نعم ، وخرج وهم ينتظرونه ، فقالوا له ما خبره به الفضل وامضوا الأمر فى السوم إلى أن أجابوه إلى خمسين ألف دينار ودفعوا إليه المال من وقته ومضوا بكتب التسليم ، ودخل خذابوذ يشكر الفضل ، فأنكر ذلك وأكبره ، وأعلمه [أنه لو تنازل] له عن شطر ملكه كان حقيقا بذلك عنده

فأقام خذابوذ لا يفارق الفضل بن سهل ولا يأكل ولا يشرب إلا معه .

وحدثنى عبد الله الأنبارى عن أبى الفتح ، قال كنت فى دار ذى الرياستين وريقت السماء ، فبعث يعرف من فى الدار ثم بعث إليهم بنساخ ، وكان فيما صرح به على كتاب منسوخ بذهب .

ثم خرج [. . . .] [1] بين يديه فى بستان ، فقال ألا ترون حسن ذلك عن هذا البستان ! أخرجوا على الناس ، ليرغبوا فى النسخ بين يديه مع الملازمة

وفى الفضل يقول التميمى الشاعر ، وهو عبد الله بن أيوب :

لعمرك ما الأشراف فى كل بلدة وإن عظموا إلا لفضل صنائع [2]

ترى عظماء الناس للفضل خشعا إذا ما بدا والفضلُ لله خاشعُ

تواضع لما زاده الله رفعة وكل جليل عنده متواضع

وهذا آخر ما أردناه والله أعلم بذلك قد تم الكتاب بعون الله تعالى سنة ٥٤٦ [4]

---

١) كلمة لم أتبينها ٢) رواية ابن خلكان للفضل إلا صنائع

٣) الزيادة عن ابن خلكان ، وهذه الصفحة تكاد لا تقرأ فى الأصل ، وقد أعان الله تعالى على قراءتها قراءة صحيحة وما كان منها ممحواً فقد وضعته بين نصفى مستطيل هكذا [ ]

٤) هذه الفقرة كتبت بخط قديم لكنه مغاير لخط الكاتب

انتهى كتاب الكتاب والوزراء للجهشيارى

ويتلوه فهارس الأعلام ثم فهارس الجماعات ثم فهارس الأماكن والبقاع

فهرس الأعلام

(ش)

(ص)

(ع)

(١) بياض بالأصل ويحتمل ان تكون العبارة ، وكان يكتب لا صحاب بن عبد الرحمن . . . الخ

فهرس الفرق والجماعات

فهرس الاماكن والبقاع



